

متضمنات القول في الأمثال الشعبية الجزائرية

Uncovering Implicit Meanings in Algerian Folk Proverbs

د. أسماء نوني*

¹ جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة (الجزائر)، a.nouni@univ-dbkm.dz

تاريخ الاستلام: 2024-07-08 تاريخ القبول: 2024-10-15 تاريخ النشر: 2024-12-19

ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى وضع طائفة من الأمثال الشعبية الجزائرية تحت اختبار تداولي، فالتداولية بما هي: اتجاه يقوم على مقامات التبادل الشفوي المنطوق، تتكئ على دراسة كيفية استعمال اللغة باعتبار كل حيثيات إنتاج الخطاب؛ من السياق وحال المخاطب والمخاطب وغيرها...، تتناسب وطبيعة الأمثال الشعبية؛ التي تُذكر في مضارب معينة يستدعيها السياق الذي يُنتج فيه الخطاب، والأمثال الجزائرية باللهجة المحلية تتمتع بفاعلية في المجتمع الجزائري، وتحمل جوانب ضمنية وخفية تُستنتج من خلال السياق، وعوامل أخرى أيضاً، فكيف يمكن دراسة هذه الأمثال تداولياً، أو ما الاشتغال التداولي الذي يمكن أن تفعّله الأمثال الشعبية الجزائرية من خلال البحث في متضمنات القول فيها؟

الكلمات المفتاحية: تداولية، متضمنات القول، أفعال الكلام، أمثال شعبية جزائرية.

Abstract:

This study aims to conduct a pragmatic analysis of a selection of Algerian folk proverbs. Pragmatics, as a theoretical framework, delves into the intricacies of oral communication, exploring language usage within the contextual parameters that shape discourse production. By examining the situational context, the addresser, the addressee, and other relevant factors, this analysis seeks to shed light

on the implicit and covert dimensions embedded within Algerian proverbs, particularly in their local dialect. These proverbs hold significant cultural and social relevance within Algerian society, and understanding their implicit meanings requires an exploration of the contexts in which they are employed. Therefore, this study endeavors to uncover the pragmatic engagement evoked by Algerian folk proverbs through an investigation into their implicit meanings.

Keywords: Pragmatics, implicit meanings, Speech acts, Algerian folk proverb...

1. مقدمة:

التخاطب من أهم وسائل التواصل، وللتخاطب شروط يلتزم بها حتى يكون الخطاب ناجعا، في إنجاح عملية التواصل، فهما وإقناعا وإنجازا، وقد يتحقق ذلك من خلال خطابات مباشرة أو غير مباشرة، وكلها تُفهم من خلال السياق، يقصد بالمباشرة منها ما تدل عليه العبارات مباشرة، وغير المباشرة ما يفهم من معانٍ لم تلفظ، بل هي خبيثة مضمرة تفهم من خلال عدة اعتبارات سياقية وعُرفية، وهي ما يعبر عنها في الدرس التداولي بمتضمنات القول، وهي هدف دراستنا هذه؛ حيث سنبحث في متضمنات القول في الأمثال الشعبية الجزائرية، فالأمثال عموما تحمل متضمنات للقول، وهي تضرب في سياقات متلائمة مع تلك المتضمنات.

تتوفر الكثير من الدراسات مؤخرا على دراسة التداولية ومتعلقاتها، ومنها متضمنات القول؛ بحيث تطبق على الخطابات المختلفة، نذكر على سبيل المثال، وفي حدود الاطلاع: بحثا للدكتورة ذهبية هو الحاج، عنوانه التداولية واستراتيجية التواصل؛ حيث تناولت فكرة جديدة في دراسة الخطاب السياسي، باستنطاق الضمني فيه، وكذلك مجموعة من الأعمال البحثية كـ مقال: الاستلزام الحوارية ومتضمنات القول في قصص النبي صلى الله عليه وسلم، دراسة تداولية، للدكتور أمل حسين خيراوي.

2. تعريف التداولية:

يمكن تصور مفهوم التداولية وحقلها فيما أورده فيليب بلانتشييه، Philippe blanchet في مؤلفه المترجم عن طريق الدكتور صابر الحباشة: التداولية من أوستين إلى غوفمان:

"التداولية الدراسة التي تُعنى باستعمال اللغة، وتهتم بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية والمقامية والحديثية... وهي الدراسة أو التخصص الذي يندرج ضمن اللسانيات، ويهتم أكثر باستعمال اللغة في التواصل"¹، الاستعمال هنا هو ما يؤكد وصف شارل موريس Morris charls لها بكونها دراسة علاقة العلامات بمؤوليتها؛ كبعد ثالث للسيميوطيقا عنده، بعد بعدي الدلالة: (دراسة علاقة العلامة بالمرجع الذي تحيل إليه)، والنحو: (دراسة علاقة العلامات فيما بينها كتركيب نحوية)².

التداولية إذا مبحث حديث للتواصل يهتم باستعمال اللغة، كما يهتم أيضا بما سبقه من مجالات التركيب والدلالة، ومسائل أخرى متعلقة بفلسفة اللغة³، فهو مبحث درس ما استعصى على اللسانيات من قبيل أفعال الكلام والافتراضات المسبقة والأقوال المضمرة، وغيرها.

يمكن تلخيص أهم مباحث التداولية فيما يأتي: -على أن يكون التركيز لاحقا على مبحثي أفعال الكلام، ومتضمنات القول؛ لأنهما محل الدراسة في الأمثال الشعبية الجزائرية في هذا البحث -

1,2. الإشارات: من أبرز مباحث التداولية، "تقترن بفعل الإشارة إلى موضوع ما، وتنطبق

على زمرة من الوحدات التركيبية والعوامل الدلالية غير المنفصلة عن سياقات إنتاج الملفوظ، يفهم من ذلك أن الإشارات عبارة عن علامات محيلة غير منفصلة عن فعل التلفظ"⁴، صنفنا إلى إشارات شخصية، وإشارات زمنية، وإشارات مكانية.

2,2. نظرية الاستلزام الحواري: أرسى قواعدها فيلسوف اللغة البريطاني بول جرايس Paul

Grice ، وهو "عمل المعنى أو لزوم الشيء عن طريق قول شيء آخر، أو قل إنه شيء يعنيه المتكلم،

ويوحي به، ويقترحه ولا يكون جزءاً مما تعنيه الجملة بصورة حرفية⁵، والمنطلق فيه حسب جرايس أن الناس قد تقول م اتقصد، وقد تقصد أكثر مما تقول، وقد تقصد عكس ما تقول؛ إذا هو البحث في الاختلاف بين ما يقوله المخاطب وما يقصده. فالبنية السطحية للعبارة الكلامية تعبر عن معاني تُستنتج من السطح أيضاً، كما تحتوي نفس العبارة على معانٍ مضمرة تتعلق بالسياق.

3,2. نظرية الحجاج: من أهم الدراسات التداولية، التي تُفَعِّل معنى استعمال اللغة المنسوب إلى التداولية في تحديد مفهومها؛ فهو يهدف إلى الدفع إلى الفعل؛ حيث يجعل خياراً من الخيارات القائمة والممكنة مُرجحاً بهدف دفع فاعلين معينين في مقام معين إلى القيام بأعمال إزاء الوضع، القائم⁶.

4,2. أفعال الكلام:

1,4,2. عند أوستين John Austin:

من المسلمات لدى دارسي التداولية أن الفضل في تعميق الفهم لأفعال الكلام يعود إلى الفيلسوف الإنجليزي جون أوستين John Austin، وكان منطلقه في تعميق ذلك الفهم من دراسة الجمل التي لا تتوخى الصدق أو الكذب في معانيها، بل تتوخى أفعالاً إنجازية، بل وذهب إلى أن حتى الملفوظات الوصفية التقريرية ماهي إلا ملفوظات إنجازية فعلها الإنجازي مضمرة، وقسم الملفوظات الإنجازية إلى ملفوظات إنجازية صريحة، وملفوظات إنجازية مضمرة، تتضمن معانيها الإنجازية وتعرف من خلال السياق⁷. ولهذا كان التركيز على أفعال الكلام ومتضمنات القول لاحقاً في هذه الدراسة، لأنهما يمثلان الاهتمام الفعلي بالمضمرة في الخطاب.

وقد ميز أوستن الفعل الكلامي كما ذكر مسعود صحراوي، بأنه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري؛ الشكلي الدلالي أو فعل القول، أو الفعل اللغوي، وهو إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة، ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة، هنا النظر إلى مستويات التحليل اللساني المعروفة: المستوى الصوتي، والمستوى التركيبي، والمستوى الدلالي، أما الإنجازي فهو الفعل المتضمن في القول،

وهو القصد الذي يرمي إليه المتكلم من فعل القول، وهذا الصنف من الأفعال الكلامية هو المقصود من النظرية برمتها على حدّ تعبير مسعود صحراوي-وهذا من دواعي استقدام الأفعال الكلامية والتركيز على مفاهيمها في هذا العمل؛ لأنها تدخل ضمن متضمنات القول التي نرنو إلى دراستها في الأمثال الشعبية الجزائرية- فالوظائف التداولية التي تؤديها هذه الأفعال تسمى قوى إنجازية؛ كالوعد والأمر والتحذير والاستفهام...

وأما الفعل التأثيري أو الفعل الناتج عن القول، فهو ما يحدثه الفعل الإنجازي في المخاطب، كالتسبب في نشوء آثار في المشاعر والفكر إزاء القول، من أمثلة تلك الآثار: الإقناع، التضليل، الإرشاد، التشييط⁸.

يتوضح من خلال فهم طبيعة الأفعال السابقة أن معيار الصدق والكذب ليس مُفعلاً فيها، فالنظر يكون إلى الشكل والإنجاز والآخر، وقد صَنَّف أوستين تحت الفعل الإنجازي أصنافاً متفرعة هي⁹:

1-أفعال القرارات التشريعية: تضطلع بإصدار الأحكام، مثل عمل القاضي في المحكمة، أو حكم مباراة في الملعب، كأعلن، اعترض، أدان، برأ...

2-أفعال الممارسات التشريعية: تهدف إلى ممارسة سلطة تشريعية، وقانونية، زوّج، سمّي، نصّح...

3-أفعال الإباحة (الإلزامية): وهي في تعهد المرسل مثلاً إنجاز فعل معين، كالوعد، الضمان، الخطبة قبل الزواج؛ كالترزم، تعهد، عزم...

4-الأفعال السلوكية: تهدف إلى إبداء سلوك معين، كالشكر، الاعتذار، تقديم التهاني أو التعازي، القسم، والتحدي، كهنأ، لام، انتقد، تعاطف...

5- أفعال المعروضات الموصوفة (التفسيرية): هدفها الحجاج والنقاش والتبرير، كاستشهد،

افتراض، دحض...

2,4,2. عند جون سوارل John Searale

تأثر سوارل بفكر أستاذه أوستين، فقام بتطوير نظرية أفعال الكلام، وأعاد النظر في بعض المسائل "من خلال محورين متكاملين؛ الأول خصصه لتحليل شروط نجاح الفعل الكلامي، والأخير مداره حول اقتراح نمذجة عامة لأفعال الكلام"¹⁰، ومن مميزات توجه سوارل أنه اهتم بشكل مباشر بالفعل الإنجازي؛ ففي نظره البحث في قضايا فعل القول ليس من صميم فلسفة اللغة التي هي توجه بحثه في الأساس، بل من صميم البحث في اللسانيات، كما أن البحث في فعل التأثير يتعدى مجال التداولية، ويدخل مجال الشك والتأويل؛ رغم هذا التحفظ إلا أن سوارل قد احتفظ بفعل التأثير وعدّل فيه؛ فهو عنده يلازم مفهوم فعل قوة التلفظ ويجسد التأثيرات التي تحدثها الأفعال الإنجازية السابقة على أفكار المستقبل وأفعاله ومعتقداته، ليكون التغيير الذي جاء به سوارل في تجاوز قصد المتكلم كمقابل وحيد للمعنى الحرفي فللعرف عناصر تداولية يمكن أن تلعب دوراً أساسياً في تحديد المعنى¹¹، كما قاده التركيز على فعل الإنجاز إلى التمييز في الملفوظ بين المحتوى القضوي، والقوة الإنجازية، هذه الأخيرة هي محطّ اهتمامنا في هذا العمل كما تمت الإشارة سابقاً، فقولك لا تصاحب فلاناً له محتوى قضوي هو "لا تصاحب فلاناً" وقوة إنجازية متضمنة في القول هي أحذر.

ومن الشروط التي حددها سيرل لتصنيف أفعاله الكلامية كنموذج متطور لما جاء به أوستين¹²:

شروط أولية: تختص بالمعارف القبلية التي يشترك فيها المتخاطبون.

شروط تحضيرية: وهي متصلة بسياق الكلام، تندرج ضمن متضمنات القول؛ إذ تستنتج من

الخطاب باعتبار السياق.

شروط الغاية: توضح غايات المتكلم، كالإخبار والتعبير والالتزام والتقرير.

شروط المواضعة: هي شكل التعابير اللسانية المختارة من طرف المتكلم، والتي يستحضرها لإنجاز فعل ما، عند تعبيره مثلاً عن التزامه بفعل شيء ما يختار أفعالا من قبيل أعد، ألتزم، أتعهد..

شروط القصد: وتضم مختلف النوايا التي بمقدور المتكلم التعبير عنها من خلال ما يتلفظ به.

شروط المحتوى القضوي: هي القواعد التركيبية والدلالية التي توجه القوة الإنجازية للمفوض ما، شروط الوفاء /الإخلاص: تحدد اعتقادات المتكلم ونواياه أثناء التلفظ بالفعل.

تمخّص عن هذه الشروط رؤية جديدة للأفعال الكلامية، تُطور ما جاء به أوستين، جعلها سورل في خمسة أصناف¹³:

1-الأفعال التأكيدية أو التقريرية: تأكد تعهد المرسل بصدق القضية التي يتكلم عنها.

2-الأفعال التوجيهية: بجعل المرسل إليه يفعل شيئا ما.

3-الأفعال الالتزامية: التزام المرسل بدرجات مختلفة بأفعال في المستقبل

4-الأفعال التعبيرية: التعبير بصدق عن حالة نفسية معينة، عقد النية والصدق في محتوى

ذلك الخطاب.

5-الأفعال التصريحية: هدفها مطابقة العالم للخطاب، ومطابقة الخطاب للعالم.

أفعال الكلام اذا كمبحث هام ضمن مباحث التداولية، تضمّن دراسة استعمال وأداء اللغة، وعندما عبر عنها أوستين في كتابه كيف ننجز الأشياء بالكلام، بأننا نقوم بعمل ما بمجرد أننا نقول شيئا ما، هذا يستدعي الجانب الضمني، إذ أن هذا العمل كما رأينا من خلال التصنيفات المخصصة لأفعال الكلام لا يكون جليا على مستوى سطح الخطاب، بل على المتلقي فهم تضمينه من خلال السياق وعناصر أخرى ضمن الخطاب نفسه.

5,2. متضمنات القول:

متضمنات مشتقة من الفعل ضَمَّنَ، والمعنى العام له هو احتواء شيء لشيء آخر، وفي هذا السياق يقال: تضمَّنته الأرض، وتضمَّنه القبر وتضمَّنه الرحم¹⁴، أما في الاصطلاح فمتضمنات القول من أساسيات التداولية، وهي حسب أوريكيوني -صاحبة كتاب المضمّر- المعلومات القابلة للنقل عبر قول معين، والتي يخضع تفعيلها للنظر إلى السياق¹⁵، فهي المميز الأساسي لمعظم مرتكزات التداولية؛ إذ تبحث في الضمني المسكوت عنه في الخطاب، مستعملة السياق، وهذا يُفَعِّلُ مسألة استعمال اللغة التي تتميز بها التداولية، وتنقسم متضمنات القول إلى: الافتراض المسبق، والأقوال المضمرة.

1,5,2. الافتراض المسبق: هو مسلمات في الخطاب يتفق عليها المرسل والمرسل إليه، سواء

معلومات قد يعرفها المتخاطبون، وقد عرفته أوريكيوني بأنه كل المعلومات التي وإن لم تكن مقررّة جهرًا إلا أنّها تنتج تلقائيًا من صياغة القول التي تكون مدونة فيه بشكل جوهري¹⁶، فهي تُفَسَّرُ من خلال العبارة ذاتها، فلو جرت محادثة بين شخصين فسأل الأول الثاني، ما أخبار العمل في المدرسة، وكيف هم التلاميذ؟ فيجيبه: جيد، والتلاميذ نجباء. يتوضح من الحوار السابق وجود افتراضات مسبقة تفرض أن السائل لديه معلومات أن المسؤول أستاذ بالمدرسة، وهذا ما نستنتجه نحن من العبارة، أن هناك خلفية معرفة بين المتخاطبين

2,5,2. الأقوال المضمرة: بينما يظهر الافتراض المسبق من سطح العبارات، يظهر القول

المضمّر من خلال تأويل العبارات؛ فهو استنتاج "كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث"¹⁷، فكتلة المعلومات التي تحتويها مثلاً عبارة: الجو جميل ودافئ اليوم، واسعة منها مثلاً: يمكننا الخروج للتنزه، أو لا داعي للبس ملابس ثقيلة، وغيرها من المضمّرات التي تستنتج كما أشير سابقاً من خلال السياق الذي قيلت فيه العبارة.

3. ملائمة حقل الأمثال الشعبية للدراسة التداولية:

تقوم التداولية على التبادل الشفوي المنطوق خاصة، والأمثال الشعبية ميدان جد مناسب لمثل هذه الدراسة؛ فهي تقال في مضارب معينة يستدعيها السياق الذي ينتج فيه الخطاب، وحتى موردها الأصلي يكون قد أنشئ في سياق مشابه للذي تضرب فيه، وهذا هو أساس قول: وقد ذهبت مثلاً؛ فالأمثال أقوال سائرة تقال بصيغة واحدة لا تتغير، وهي كما وصف ابن عبد ربه في عقده الفريد: "وشي الكلام، وجوهر اللفظ، وحلي المعاني..."¹⁸، تستعمل في الخطابات بغرض جعل الأحداث المشابهة لقصتها مقرونة بنتائج الأحداث للخطاب نفسه الذي تضرب فيه وقت إنتاج الخطاب.

ولتطبيق تحليل تداولي لهذا النوع من الأدب يجب معرفة معنى المثل، ومورده، حيث أنتج أول مرة، أما مضربه فيكون في المناسبة التي أنتج فيها الخطاب، وكذلك يستلزم معرفة بالمشهد السيسيوثقافي للبيئة التي أنتج فيها واللغة أيضاً، ففي الأمثلة موضع الدراسة هنا، يجب المعرفة باللهجة الجزائرية العامية حتى يُستطاع الوصول إلى متضمنات القول، "لأنه من غايات الدرس التداولي الحفر في البنية المعرفية والاجتماعية للكلام بدراسة الأفعال الخبيثة فيما يخرج إليه الكلام من معان ومقاصد لا تنبئ بها الجملة الشكلية"¹⁹

4. متضمنات القول في الأمثال الجزائرية:

تم اختيار طائفة من الأمثال الشعبية الجزائرية التي تحتوي تضمينات قولية يمكن استنتاجها من خلال السياق العام للخطاب المذكورة فيه، ومن خلال التركيبات اللسانية الخاصة بها، وسنسلم جدلاً أن هذه الأمثال موجودة داخل حوارات وسياقات معينة، وسيكون استنتاج متضمنات القول بتصوير أحد تلك الحوارات في عموم ما يستعمل فيه كل مثل من سياقات مناسبة لمعناه، فتكون بذلك الافتراضات المسبقة متصورة بين المخاطب والمخاطب فما دعا المخاطب لطرح مثل ما للمخاطب إلا لوجود معلومات مشتركة بينهم، وهي ماتسمى بالافتراضات المسبقة، ولنفترض مثلاً وجود حوار بين شخصين، يسأل أحدهم عن أخلاق بنت ما، فيجيبه: أَقْلَبُ الْقَدْرَةَ عَلَى فُمْهَا تَطْلُعُ الْبَنْتُ لَأُمُّهَا، المعلومات التي تظهر هنا أن الشخص المسؤول يعرف البنت، وأن السائل مهتم لأمر البنت، هذا

افتراض مسبق، أما الأقوال المضمرة، فهي كونه يعرف أم البنت، وبالتالي إذا كانت جيدة فابنتها مثلها أو العكس، نستهل البحث في متضمنات الأمثال الجزائرية بالمثل الشهير:

1- أَشْكُونُ بِأَبَاكَ يَا الْبَغْلَ، فَأَنْتُمْ حَصَانٌ خَالِي²⁰

هذا المثل يفترض أن يكون الخطاب الوارد فيه حواراً بين أشخاص يتباهون بإنجازاتهم، فيتباهى أحدهم بإنجاز أبيه أو أخيه أو أي شخص من أقاربه، هذا السياق المناسب لهذا المثل، وهو مثل يحاكي قول سيدنا علي بن أبي طالب: إن الفتى من يقول ها أنا ذا ليس الفتى من قال كان أبي، يمتد البحث هنا في الأفعال الكلامية غير المباشرة حسب سورل إلى تناول الخطاب التخيلي، وهو مجال كما هو معلوم ملائم للتعبير عن النوايا بطريقة غير مباشرة،²¹ والمثل السابق تشبيه عبّر به قائله عن محتوى قضوي هو: أن الحمار يجب عن سؤال: من والده؟ بأن خاله الحصان، في مقابل هذا المحتوى القضوي، فعل إنجازه، هو الفخر، ومتضمن القول لهذا المثل ليس الفخر بإنجازات آبائنا من يجعلنا ناجحين، بل بما أنجزنا نحن بأنفسنا، وهذه القوة الإنجازية المستلزمة في مقابل القوة الإنجازية الحرفية؛ وهي التأويل اللساني، حصان...وبغل...

وقد استلزم القول المضمّر من خلال إسقاط تلك الملفوظات؛ فالحصان حيوان نبيل، يفتخر به وبصفاته، بينما البغل أقلّ من حيث الشأن، بيد أن صلة القرابة التي بينهما تجعله يفتخر، مثل الذي يفتخر بإنجاز غيره. وإن اللجوء لمثل هذا المثل في الخطاب بما يحمله من افتراضات مسبقة، وأقوال مضمرة، له مبرره التواصل بال تأكيد، فنحن بصدد محادثة ذكر فيها ما يستدعي هذا المثل، كافتخار أو اعتزاز بإنجازات الغير أو غيرها من الاحتمالات الممكنة، والتي لا يستطيع تحديدها بدقة إلا من خلال معرفة سياق الخطاب الذي وردت فيه.

2- أَخْدَمُ بِصُورْدِي وَلَا تَعَانِدُ الْبَطَالُ²²

باستعمال نظرية أفعال الكلام التي ترتبط ببنية المتكلم حينما يريد التأثير في المتلقي، نجد أن هذا المثل ينم عن فعل كلامي متضمن، وهو قول صريح نفترض مسبقا أن صاحبه يعلم أن الشخص الموجه إليه الخطاب يتململ ويتذمر من العمل، أو قد عُرضَ عليه عمل، وقام المخاطب بنصحه حتى ولو لم يكن المخاطب قد أبدى رأيا في ذلك، والحقيقة هنا كما أشارت أوروكيوني أنه لا يوجد اختلاف بين المصرح والضمني، إذ أن المحتويات الضمنية نصل إليها عن طريق الفهم والسياق؛ فتصبح مصرحا بما حسب تعبيرها؛ فالفعل الكلامي في المثل السابق:

اخدم ← اعمل

لا تعاند ← لا تقلد

الفعل الكلامي في الأول حث، وفي الثاني نهْي، وهنا تكمن صفة فعل الكلام، وهو يحدث أثرا في نفس متلقيه؛ كالاقتناع بقدسية العمل مهما كان شكله، والنهي عن البطالة، وهنا تتحدد قصدية الحث على الإنجاز للمتلقي بدفعه إلى حب العمل، أو التراجع عن قرار لترك العمل، أو غيرها من الأقوال المضرة المحتملة، ويبقى السياق هو المحدد للافتراضات المسبقة التي تضمن معلومات مشتركة بين المتخاطبين، فالمخاطب هنا وجه المثل في الحوار متوخيا تلك المعلومات؛ لأن "المتكلمين يدركون في اللاوعي أن سامعيهم يعتمدون على الافتراضات السابقة في محاولتهم فهم ما يقال لهم، ويعتقد أن المتكلمين بدورهم يدركون أن مسؤوليتهم تقديم مهماتهم في المحادثة الدائرة بطريقة تمكن سامعيهم من فهم المقصود بالاعتماد على الافتراضات السابقة المتوفرة لديهم"²³، والأقوال المضرة أيضا، وقد ذكر بعضها المحتمل لهذا المثل.

3- الثور المغياف ماري كُتاف

يوجه المثل السابق فكرنا إلى خطاب يذكر فيه التواضع وترك الكبر، فالبنية اللسانية توضح معنى صريحا، وهو المحتوى القضوي؛ وهو مجموع معاني المفردات المكونة للمثل، الثور الذي يشتمز لا تنمو أكتافه، وهي دلالة جانبية تعرف من القول باعتبار بنيته اللسانية، والمعنى الضمني للمثل أن

الشخص الذي يشتمز لبعض الأطعمة لا يبني بنية جسدية قوية، والدلالة الجانبية يمكن أن تستقل عن الدلالة الضمنية²⁴، التي تحتوي قد على قول مضمّر آخر وهو الدعوة إلى التواضع في كل شيء، حتى يصل الشخص إلى مبتغاه، فلا يتكبر على قوم ولا على عمل حتى ينجح، وقد يحمل أقوالاً مضمرة أخرى بالرجوع إلى السياق ومعرفة ملابسات الحوار الوارد فيه المثل.

4- تَهْيَا لَنَمْلَةٍ كَيْمَا تَنْتَهِيَا لَسَيْعٍ²⁵

"يكشف البحث في طبيعة الأقوال المضمرة من حيث كونها محتوية ضمناً عن وجود أقوال مضمرة تداولية، حيث تجسد المعلومات التي يقدمها ملفوظ معين حول شروط نجاح الفعل الكلامي، الذي من المفترض أن يؤديه ذلك الملفوظ شروطاً غير ضرورية، ولكن محتملة إضافة إلى ما يعرف بالتلميح"²⁶، المعنى الصريح هنا واضح تهيأ للنملة مثلما تنتهي للأسد، ظاهر المعنى يساوي بين النملة والأسد فقط، لكن المقام هو ما يحدد التلميح الذي استدعى هذا المثل، والذي يُحدّد المعنى الضمني منه للمخاطب، فالمخاطب هنا يحذر من أصغر الأعداء الذي قد يُستَهْزَأُ به، ويحسب حساباً لما هو أكبر منه، تهيأ بمعنى تهيأ أي تجهز، وحسب نموذجة جون سورل لأفعال الكلام، يندرج الفعل الكلامي في هذا المثل تحت قسم الأفعال التوجيهية؛ التي تتمثل هنا في الأمر أو الطلب، وهذا من رهانات التداولية التي تأخذ في اعتبارها أن الجمل غالباً ما تستعمل لإيصال معلومات ضمنية وراء الدلالة الحرفية، فكل ملفوظ يحقق معناه من خلال موقعه داخل متوالية حوارية²⁷، وهذا المثل يحتوي أقوالاً مضمرة تمت الإشارة إليها تفهم بطبيعة الحال حسب موقع ضربه-المثل- إن كان يعني بالأسد والنملة أشخاصاً معينين أو ظروفًا معينة، هذا ما يؤوله المتخاطبون أنفسهم داخل السياق.

5- تَهْلِي يَاعَصَاتِي فِي كُسَاتِي²⁸

هذا المثل يضرب في سياق التهكم على شخص ما، بعدم الثقة فيه لتحمل المسؤولية اتجاه أمر ما، والمعنى الذي تطرحه البنية اللسانية للمثل هو أمر العصا بالاعتناء بالكساء؛ والكساء هنا الملابس،

أما مضمورات الأقوال فهي احتمالات أولها كون المتحدث عنه لا يعتمد عليه، والثاني أنه استعان بشخص لا يعتمد عليه أيضا، فكلف من هو أعجز منه لحراسة أشياءه، فلا العصا ولا الكساة يعتمد عليهما، هذه الأقوال المضمرة التي يمكن أن يحملها هذا المثل، ويبقى احتمال متضمنات أخرى حسب السياق الحقيقي، حيث يجب معرفة المحيط المعرفي للمتخاطبين كي يمكن استنتاج الفرضيات بشكل أدق²⁹

6- جَاوَزَ الْخَيْرَ تَدِي مَنُو فَتَاتَة، جَاوَزَ الشَّرَّ تَدِي مَنُو خَتَاتَة³⁰

ما يمكن استنتاجه من خلال تركيب المثل السابق، أمر بمجاورة الخير، وكافتراض نتيجة لذلك ستأخذ منه مقدارا (فتاتة)، وجزء آخر من المثل يأمر بمجاورة الشر، وكافتراض لنتيجة ذلك ستأخذ منه ذرة (ختاتة)، تصور مقام الخطاب يضع افتراضات مسبقة أن المخاطب يأمر فهو عارف بالمخاطب وبظروفه، أما ما يمكن قوله عن الأقوال المضمرة في المثل؛ فتحدد من خلال السياق، وبواسطة المتلقي الذي وُجِّه إليه المثل؛ فالفعل جاور هنا متضمن القول فيه بمعنى النصيح، وهو من الأفعال التوجيهية حسب سيرل، فالمخاطب يوجه المخاطب إلى أمر ما أو شخص ما أن يجاوره أو يتعامل معه أو يقترب منه، وفي الشق الثاني مضمون القول نهي، وتحذير من مجاورة الشر، حتى وإن كانت البنية اللسانية لا تحتوي أداة نهي، إلا أن مستعمل المثل باعتبار التأويلات الممكنة لا ينصح بمجاورة الشر أبدا، والملاحظ استعمال صيغة الأمر التي قد تكون أمرا فعلا، وقد تكون اقتراحا أو نصحا أيضا؛ "فالملفوظ تكون له قوة أمر إذا كان لدى المتكلم قصد إعطاء الأمر للمستمع من خلال تلفظه، وتكون له قوة اقتراح إذا قصد المتكلم من خلال قوله اقتراح شيء ما على المستمع"³¹، يبقى السياق الذي يرد فيه هذا المثل المحدد الأساسي للمعاني الضمنية منه.

7- الْجَدِيدُ حَبُو، وَالْقَدِيمُ لَا تَقَرُّطُ فِيهِ³²

ينطبق في هذا المثل تصور أوركيبوني في عدم وجود اختلاف بين ماهو مصرح به وماهو مضمّر³³، غير أن السياق كما جرت العادة في التحليلات التداولية هو الذي يحدد الهدف الأساسي لهذا القول،

ويبدأ ميدان الضمني عند معرفة السياق؛ فالفعل المتضمن في هذا القول هو النصح بعدم التخلي عن القديم والاحتفاظ بالجديد، وهذا معنى مشترك بين الصريح والمضمر في المثل، ويُضرب هذا المثل في مواقع طلب التوازن والوسطية في كل أمور الحياة، فقد يقال لشخص تعرف على صديق جديد، وأهمل القديم، أو لشخص اقتنى ملابس جديدة ولم يعد يهتم للقدمية، أو غيرها من الأقوال المضمرة التي قد يحملها هذا المثل. لأن بنيته الملفوظية تعبر عن معنى عام، ولكن الضمني يحدد بالسياق، وهو ماعبرت عنه أوريكيوني بالمعلومات التي تضاف على المحتويات المثبتة والمفترضة.

8- جُوزٌ عَلَى الْوَادِ الْهَارُونِي، وَمَاتَجُوزَشْ عَلَى الْوَادِ السَّاكُوتِي³⁴

البنية التركيبية لهذا المثل تحمل فعل أمر هي الأخرى-جوز- بمعنى: -امرُرْ من الفعل مرّ-على الواد الهاروني هنا بمعنى الصاحب الذي فيه أصوات تلاطم الأمواج، ولا تمرّ على الواد الساكت الصامت الذي لا تعرف متى يصخب، الدلالة الظاهرية لهذا القول، وجود واد صاخب، وواد غير صاخب، ووجود من يريد المرور عبر أحدهما، المخاطب يأمر بالمرور على أحدهما، وينهى عن المرور بالثاني، أما الأقوال الضمنية فأفعال الأمر (جوز، وماتجوزش) أفعال كلام متضمنة لمعنى الأمر والارشاد، والتحذير، ومثل هذا المثل قد يكون في خطاب مع شخص يطلب النصح أو موقف يستدعي النصح، فقول: (جوز على الواد الهاروني)؛ نصح وارشاد بالتعامل مع من يخرج مكنوناته، ويعبر عن دواخله وإن بالصخب والفوضى، لأنه يعبر عن نواياه مباشرة، وهذا لا يشكل خطراً، فكل ما هو ظاهر للعيان يمكن التحسب له، بينما (متجوزش على الواد الساكوتي)، فالقول المضمر هنا يظهر أولاً من خلال الفعل الكلامي النهي عن المرور بذلك الواد، وثانياً في مضمر القول عن الواد الساكوتي الذي يمثل الناس الذين يضمرون الشر رغم هدوئهم، فلا يُحسب حساب لخطرهم بدعوى ذلك الهدوء، وهنا نصح وتحذير، والمفترض هنا أن المخاطب الموجه لهذا المثل يعرف حاجة المخاطب، وقد يعرف طبائع الأشخاص الذين رغب المخاطب في التعامل معهم، فنصح بهذا المثل ضمناً، وهذا ما يحدد الافتراضات المسبقة التي تجمع بين المخاطب والمخاطب، والتي لا نعرفها نحن إلا اذا ورد المثل في سياق

حواري واضح، ومثل هذه المتضمنات كثيرة في الأمثال الجزائرية؛ مثلاً: "اعقب على واد يجرجر ومتعقبش على واد ساكت" وهو يحاكي المثل السابق.

9- خُوذْ نَدَّكَ، وَالْبَسْ قَدَّكَ وَتَبَّعْ عَادَةَ بَابَاكَ وَجَدَّكَ³⁵

المعنى الظاهري يقترب من المعنى الضمني لهذا المثل، وما يُظهر التأويل الفعلي هو السياق كما سلمنا سابقاً، يحتوي المثل على ثلاثة أفعال أمر "خوذ، ألبس، تبع" الأفعال المتضمنة في الأقوال تحمل معنى النصيح والتوجيه، (خوذ نذك) بمعنى اختر من هم نذا لك، أو يمكن أن يكون معنى لونك أو شكلك، ففي العامية الجزائرية يستعمل لفظ (ند) بمعنى لون أو شكل، ثم (البس قدك)، البس ما يناسبك، (تبع عادات باباك وجدك)، اتبع عادات آبائك وأجدادك، هذه المعاني خارجة عن السياق، الأقوال الضمنية للمثل تحدد من خلال السياق، وقد يكون خوذ نذك معناه الضمني صاحب أندادك، أو تزوج من هي نذك في الشكل والثقافة والمستوى الاجتماعي، وهذا التأويل هو الأكثر شيوعاً لمضرب هذا المثل، أما (ألبس قدك)، قد تحمل قولاً مضمرًا هو نفسه القول المضمر للشق الأول من المثل، فيقال (ألبس قدك) بمعنى أيضاً تعامل مع أندادك، أو تزوج بمن هي نذك لك، أو لا تكلف نفسك بما لا تطيق، وقد يكون مضمر القول فيه المعنى الظاهري نفسه كما تمت الإشارة سابقاً، وهو إلبس ما يناسبك، فلا تلبس أكبر أو أصغر من مقاسك، لأن الأقوال المضمرة تتميز بعدم الثبات فهي تضم كل المعلومات التي بإمكان الملفوظ احتواءها³⁶، أما الشق الأخير من المثل (تبع عادة باباك وجدك)، وهو متضمن لفعل طلب الإلتزام بعادات الأجداد، وقد يُضَمَّن في خطاب لشخص جاء بما لم يتعود عليه أجداده، أو حتى ممن لم يتبع أعرفهم أي ليس بالضرورة أن يقصد الآباء والأجداد بالتحديد، وهذا المثل قد يضرب لوجود حالة واحدة من الحالات السابقة، فلا يشترط أن تجتمع المعاني كلها في سياق المحادثة التي يستعمل فيها هذا المثل، لكن مما جرت عليه العادة هو ذكر المثل كاملاً، الافتراضات المسبقة لهذا القول تتوقف عند قائله بكونه يعرف معلومات عن المخاطب أنه مثلاً خطب امرأة ليست نذا له، أو غيرها من الاحتمالات.

10- أغلق باب دارك لا تحوّن جارك³⁷

المحتوى القضوي لهذا القول حسب الملفوظات المتوفرة فيه امتلاك الشخص لبيت، وبه باب مفتوح، ولديه جار، هذه المعلومات التي يمكن معرفتها، من تركيب العبارة، غير أن المقصود فيه يحدد دائما حسب السياق، والقوة الإنجازية هنا واضحة بمعنى النصح والتحذير، قد تأخذ تأويلا عميقا بالنصح بعدم فتح باب الأسرار والدواخل للناس، حتى لا تصدم فيما بعد بإساءتهم باعتبار معرفتهم الأسرار، أو أن يكون المعنى الظاهر هو نفسه الضمني المقصود، وهو النصح بإغلاق الباب فعلا، أما الافتراضات المسبقة فيمكن تصور علاقة مودة بين المتخاطبين صداقة أو قرابة، أو جوار، هذا يظهر من ظاهر القول بأن الناصح عارف بظروف المنصوح.

5. الخاتمة

التداولية تحتم باستعمال اللغة والأمثال الشعبية أكثر حقل مناسب لدراساتها، فهي لا تذكر إلا عند استعمال اللغة، وهي تبين فعلا علاقة العلامات اللغوية التي تحملها مع مستعملها، وقد رأينا من خلال مجموعة الأمثال الجزائرية المختارة في هذا البحث مدى توفرها على جزئية الإضمار في الخطاب، ومدى الحاجة الى السياق لتأويل تلك المضمرات.

6. الهوامش:

¹ - ينظر: بلانشيه فيليب، سنة: 2007، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: الحباشة صابر، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ص: 18، 19.

² - Morris.c.s: foundations of the theory of signs, chicago, 1972, p:59. نقلا عن: بليع عيد، سنة:

2020، التداولية، البعد الثالث في سيميوطيقا موريس، من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة، ط1، دار كنوز المعرفة، الأردن، ص: 19. عمان،

- 3 - تعريف فلسفة اللغة: "محاولة تهدف إلى وصف واضح ودقيق ومن زاوية نظر فلسفية لبعض الخصائص العامة المتعلقة باللغة، مثل الإحالة والمعنى والصدق... لا تعد فلسفة اللغة دراسة للغة من حيث هي كذلك، بل من حيث هي حديث فلسفي حول اللغة". ينظر: غلفان مصطفى، 2017، اللغة واللسان والعلامة عند سوسير، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان.
- 4 - ختامي جواد، سنة: 2016، التداولية أصولها واتجاهاتها، ط1، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ص: 76.
- 5 - إسماعيل صلاح، سنة: 2005، نظرية المعنى في فلسفة بول جراس، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص: 78.
- 6 - ينظر: ولد محمد الأمين، محمد سالم، سنة: 2000، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، العدد الثالث، يناير، ص: 57.
- 7 - ينظر: ختام جواد، التداولية أصولها واتجاهاتها، ص: 89.
- 8 - ينظر: صحراوي مسعود، سنة: 2005، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، ط1، دار الطليعة، بيروت لبنان، ص: 40، 41، 42.
- 9 - ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، سنة: 2004، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، سنة: 2004، ص: 156. وختام جواد التداولية، أصولها واتجاهاتها، ص: 90.
- 1 - ختام جواد، التداولية أصولها واتجاهاتها، ص: 91.
- 11 - ينظر: بلبع عيد، التداولية، ص: 250.
- 12 - ينظر: ختام جواد، التداولية، أصولها واتجاهاتها، ص: 92، 93.
- 13 - ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، ص: 158.
- 14 - ينظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، الجزء السابع،
- 15 - ينظر: أوريكيوني، كاترين كيربرات، 2008، المضمّر، ترجمة: ريتا خاطر، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ص: 74.
- 16 - ينظر: أوريكيوني، المضمّر، ص: 48.
- 17 - علوي، حافظ إسماعيل، 2012، التداوليات، علم الاستعمال، عالم الكتب الحديث، إريد، الأردن، ص: 44.
- 18 - ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمد، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ج3، ص: 3.
- 19 - وصفي، ماجد حرب وآخرون، سنة: 2019، تعلم العربية وتعليمها، مقاربات لغوية وتربوية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي، ص: 49.

- 20 - بوخالفه عزي، كنز الأمثال من مناهل الأثال، مدونة الأمثال الشعبية الجزائرية، وزارة الثقافة، الجزائر، ج1، ص: 51.
- 21 - ينظر: ختام جواد، التداولية، أصولها واتجاهاتها، ص: 96.
- 22 - بوخالفه، بوخالفه، كنز الأمثال، ج1، ص: 90.
- 23 - رمضان مختار، نادية، سنة: 2013، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، مؤسسة حورس الدولية للنشر، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ص: 104.
- 24 - ينظر: حمو الحاج، ذهبية، سنة: 2015، التداولية، استراتيجية التواصل، ط1 رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ص: 240.
- 25 - بوخالفه، عزي، كنز الأمثال من مناهل الأثال، ص: 97.
- 26 - حمو الحاج، ذهبية، التداولية واستراتيجية التواصل، ص: 237.
- 27 - ينظر: بدوح، حسن، سنة: 2012، المحاور، مقارنة تداولية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ص: 15.
- 28 - بوخالفه، عزي، كنز الأمثال، ص: 96.
- 29 - ينظر: عشير، عبد السلام، سنة: 2005، عندما نتواصل نغير، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، أفريقيا الشرق، المغرب، ص: 58.
- 30 - عزي، بوخالفه، كنز الأمثال، ص: 126.
- 31 - بولان، ألفي، سنة: 2008، المقاربة التداولية للأدب، ترجمة: تنفو، محمد، احمياني ليلي، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ص: 45.
- 32 - بوخالفه، عزي، كنز الأمثال، ص: 130.
- 33 - ينظر: أوركيني، المضمهر، ص: 19.
- 34 - بوخالفه، عزي، كنز الأمثال، ص: 139.
- 35 - عزي بوخالفه، كنز الأمثال، ص: 254.
- 36 - ينظر: ذهبية حمو الحاج، التداولية، استراتيجية التواصل، ص: 131.
- 37 - عزي بوخالفه، كنز الأمثال، ص: 193.

7. قائمة المراجع:

- 2- إسماعيل صلاح، سنة: 2005، نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- 3- أوربكيوني، كاترين كيربرات، 2008، المضمّر، ترجمة: ريتا خاطر، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان.
- 4- بلبع عيد، سنة: 2020، التداولية، البعد الثالث في سيميوطيقا موريس، من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة، ط1، دار كنوز المعرفة، الأردن.
- 5- بدوح، حسن، سنة: 2012، المحاور، مقارنة تداولية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن.
- 6- بولان، ألفي، سنة: 2008، المقاربة التداولية للأدب، ترجمة: تنفو، محمد، احماني ليلي، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة.
- 7- بوخالفة عزي، كنز الأمثال من مناهل الأثال، مدونة الأمثال الشعبية الجزائرية، وزارة الثقافة، الجزائر.
- 8- بلانشيه فيليب، سنة: 2007، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: الحباشة صابر، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية.
- 9- وصفي، ماجد حرب وآخرون، سنة: 2019، تعلم العربية وتعليمها، مقاربات لغوية وتربوية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي.
- 10- ولد محمد الأمين، محمد سالم، سنة: 2000، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، العدد الثالث، يناير.
- 11- حمو الحاج، ذهبية، سنة: 2015، التداولية، استراتيجية التواصل، ط1 رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة.
- 12- علوي، حافظ إسماعيل، 2012، التداوليات، علم الاستعمال، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن.
- 13- عشير، عبد السلام، سنة: 2005، عندما نتواصل نغير، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، أفريقيا الشرق، المغرب.
- 14- ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمد، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 15- صحراوي مسعود، سنة: 2005، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، ط1، دار الطليعة، بيروت لبنان.

- 16- رمضان مختار، نادية، سنة: 2013، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، مؤسسة حورس الدولية للنشر، القاهرة، جمهورية مصر العربية،
- 17- الشهري، عبد الهادي بن ظافر، سنة: 2004، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان.
- 18- ختامي جواد، سنة: 2016، التداولية أصولها واتجاهاتها، ط1، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان الأردن.